عدد ٥

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الخامس	في ذي القعدة ١٣٦٢ وفي نوفامبر ١٩٤٣	المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المدير

محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تلبفون ٤٩-٢٦

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

الثمن ٧ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط رقم ٥٧ - تونس

المجلد الخامس **فهرس العدد** الجزء الخامس

الاشتراك

ثمن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٧٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٨٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال .

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس



من رام ان ينظر المعالي ... والمجد في صورة تزين
وتخجل البدر في الكمال ... والاسد قد ضمها العرين
فذلكم سيد الرجال ... حامي حمى تونس الامين

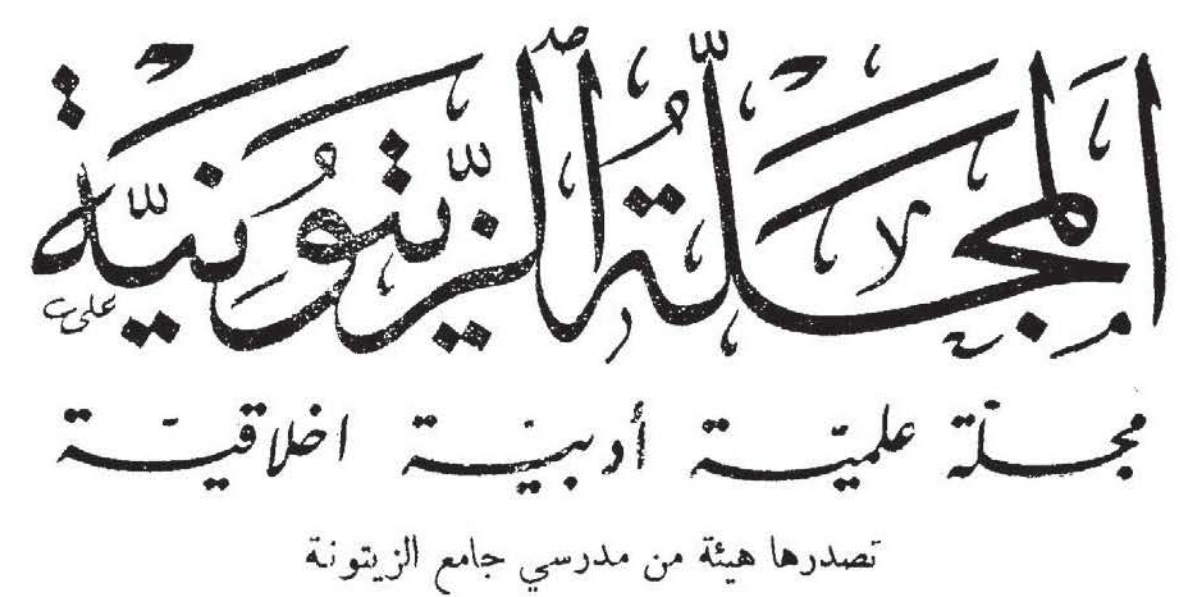
خطاب الحضرة العلية

في حفلة ختم الامتحان بالمعهد الزيتوني العامر

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لله على ما يسر لبني الانسان من مناهل العرفان . الجاعل العلم قواما لرقي الحياة تستثمر به الاذهان . ويرسخ الايمان ويتأيد السلطان . ويعم العدل والاحسان . وهو الذي اقام العلماء في كل قطر اعلام هداية وصلاح . يعرجون بالناس معارج العزة والفلاح . ويسلكون بهم للحياتين الدنيا والاخرى سبل الخير والنجاح . وصلاة وسلاما على نبيه الماحي لظلم الضلال . الداعي لصفات الكمال الحاث على طلب العلم والمجمل بخير الخلال . وعلى صحبه والآل . وبعد فيا حضرات الشيوخ الجلة . وحماة الملة . ويا ايها الابناء الاعزاء انا ليسرنا غاية السرور ان نحل بينكم في هذا البيت العتيق هذا البيت المؤسس على التقوى الذي لم يزل منذ اقدم الاجيال . مستمرا على تخريج فطاحل الرجال الحائز فضل الاسبقية على سائر المعاهد الافريقية يسرنا ان نشهد به حفلكم المبارك بانتهاء دور امتحانه وفوز الظافرين بقصب السبق في ميدانه ونرى رأي العين نتائج مجهوداتكم السارة وما بذله جناب شيخ الجامع من حسن المساعي خصوصا في هذه السنة التي لم يكن كسابقتها في الهدو وراحة البال وان الجهود العلمية فيها ينبغي ان نقدر قدرها لما غالبت من اهوال وهي دليل ناطق وبرهان صادق على ما يبذله شيوخ هذا المعهد وفروعه داخل العاصمة وخارجها من جهود قيمة لنفع ابنائهم الروحيين واعدادهم لحلبات الامتحان احسن اعداد وليس ذلك بغريب منهم وهم يعلمون حق العلم انهم قد اوتمنوا على تغذية ارواحهم وانارة اذهانهم وما سيكون لهم من اثر في الحياة . وان ادراككم أيها الشيوخ الفضلاء لعظمة مهمتكم ودقيق مسئوليتها امام الله والناس مما يكفل لكم التوفيق والسير في خير طريق

هذا واننا لعلى علم من ان لكم رغائب حيوية جديرة بعنايتنا وقد زادتها ظروف الاحوال تأكدا وايضاحا ونزف اليكم البشرى في هذا اليوم السعيد بانها قد حظيت لدينا بالقبول كما حظيت بمثل ذلك من الحكومة الحامية تقديرا للعلم واهله ونرجو ان نكون قد اتينا في اجابتها بما يفي بالمأمول وسنكون بحول الله حظوظكم المادية مسايرة لما تبذلونه من جهود في عملكم الشريف وواجبكم المقدس وعلى قدر الجهود تكون الجدود واني ياحضرات الشيوخ الاعلام لمقتف اثار اسلافي المقدسين البررة في العناية بهذا المعهد الجليل عناية ينمائل بها ان شاء الله حاضره بماضيه وتحمد في خدمة الدين ونصرة العربية مساعيه وحق علي ان اتم انجاز ما كان شرع الوالد قدس الله روحه في انجازه وليس لي من عمدة في ذلك سوى الاعتماد على الله الكريم في الاعانة والتوفيق وعلى ما تبذلونه في هذا المجال . من صالح الاعمال والسلام عليكم ورحمة الله



تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء الخامس	في ذي القعدة ١٣٦٢ وفي نوفامبر ١٩٤٣	المجلد الخامس

بعد الاحتجاب

بشرى ! فقد ضربت اشعة اليقين في ظلمة الفتن والريب وانقشع عن أجواء الافكار ما تلبد من غيوم قاتمة مدلهمة تزلزل رواعدها القلوب وتذهب بروقها بالابصار لما استهل هذا العهد الاميني الزاهر ياخذ الناس بالحكمة ويحفزهم بالروية ويزجيهم الى سبل الثبات فهدأت العاصفة الهوجاء وقرت عجاجتها وانقلبت زعازع الاضطراب ريحا طيبة رخاء تزجي سفينة الاحداث الى شاطئ السلامة والاطمئنان حيث نشرف على الارض النظرة الخصبة : ارض السلم والامان التي بارك الله فيها للعالمين

فما بال مجلتنا الزيتونية لا تدرج على هذه النسمات المنعشة تجدد عهدها في خدمة الحق وبث المعرفة ، وتعاود احبتها الذين هجرتهم حولا كاملا كما هجر الاحوص دار عاتكه وهو يقول :

اني لامنحك الصدود وانني　　　قسما اليك مع الصدود لاميل

وكيف لا ينشط لسان المعهد الزيتوني من عقاله وقد شعت بمحراب الجامع انوار العناية الملكية ورنت في تجاويف قبابه تلك الفقرات الدرية من خطاب التاج تاخذ بضبع الزيتونيين الى المقام المحمود الذي تسعد فيه ارواحهم باداء رسالة مقدسة القت اليهم كلمتها بين تلك الرحاب المباركة على مشهد القرون

ان ملكا يقوم على جمع الامة حول العرش وعلى التاليف بين عناصرها بالبقا قوامه الاخوة وعماده الاعتراف بما لكل عنصر من حق وما عليه من واجب والاشادة بما لكل عنصر من فضائل

وما له في اقامة اود حياة الامة من مزايا لحقيق بان تنال الناس في ظله ضالة الوطن المنشودة من اجتماع الكلمة واتحاد الصف واخلاص النية في التوجه بعزم ثابت ويقين راسخ الى ميدان العمل المثمر المنزه عن ضوضاء الكلام الاجوف المطهر من جراثيم الرياء القاتلة . ول وجهك شطر المعهد الزيتوني تـر فتورا تصرمت عليه السنة المدرسية الماضية قعد بهمة الشيوخ وغل من عزائم الشباب فصمت الداعي وانعزل المرشد وانكف المعلم وانقطع المريد وتشتت المستفيد

ثم ارجع البصر اليه وقد آذنت شمس تلك السنة بالمغيب تر العناية الملكية السامية توقظ الهمم وتشحذ العزائم وتنادي في جموع الزيتونيين بما يبعث فيهم الثقة بانفسهم ويدفعهم نحو ماهم مهيؤون له من اعلاء كلمة الدين وحفظ مجد العروبة واعداد الجهاز المحرك لمظاهر الحياة الحقة من هذه الامـة فاذا هم يتلقون الامانة عن شعور بالمسؤولية واستعداد للعمل واذا الاوجه طافحة ببشر الثقة والنفوس مفعمة بالنشاط القاضي على الانقباض الماضي لاثر الفتور .

فما احوج هؤلاء الذين باتوا يضمرون العزم على العمل الذي اهاب بهم اليه ملكهم المفدى ان يجدوا عند ما اشرق صبح السنة الدراسية مجلتهم بين ايديهم تخدم كما خدمت ست سنين خلت علوم الدين وآداب العربية ومفاخر الاسلام من طريق لا تفي به الدروس ولا تغني عنه المكاتـب فيتخذوها مطية لاصلاح الاحوال المرتبكة التي كونها ما نزل بالمملكة التونسية اشهرا طويلة من انقسام الاوطان وتنائي البلدان وتشتت شمل الجماعات محرومة خائفة وتفرق الاهواء والنزعات بشعـوذة الدعايات الزائفة

وهيهات ان يستعصي علينا هذا الاصلاح اذا نحن سلكنا له طريقه القويم بالاتجاه الى تجديـد الروح المحركة الدافعة حتى تصلح بصلاحها الاعضاء الخادمة لها والاجهزة المسيرة لقواها

وهل للامم الاسلامية من روح قومية جامعة غير روح الدين ؟ كلا . فعلى هذا الدين التأمت أفرادها وعلى مبادئه تربت جامعتها وعلى اصوله قامت عصبيتها وبمقدار المحافظة على كيانه علت كلمتها وعز جانبها فاذا بدت عليها يوما ما اعراض من مظاهر الضعف والانحلال فلا يلتفت المصلحون الى تلك الاعراض الجزئية فما هي الا فروع ومسببات وليلتفتوا الى الاصل الذي نشات عنه بالعلاج والتقويـة حتى اذا استقام الاصل اقتلع باستقامته اعراض الانحطاط من اصولها كمثل جسم انساني شكى فشل الحركة وصداع الراس وضعف البصر وثقل السمع وطغيان الدمل على الجلد فتبين طبيبه الآسي من هذه الاعراض المختلفة ان جراثيم خالطت دمه فعمد الى الدم بالتطهير حتى اذا صفا مزاجه ذهب ما آلم الراس وخدر الجسم وشكت له العين وضعف به السمع واندمل له الجلد وتداعى له الجسد كله وتم ذلك بدون ان ينال العلاج عضوا من هذه الاعضاء بذاته

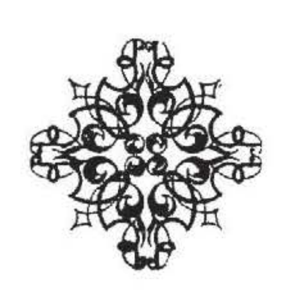
الامراض التي لاتحصى بالرجوع الى الدم الساري في شرايين هذا الهيكل الا وهو الدين فيجددوا ما رث من اثره في نفوسهم ويجعلوا منه العلاج لكل داء ويتخذوا منه فيصل النظر في كل قضية حتى تنكشف لهم الحقائق واضحة جلية وبذاد عنهم ما يملأ الآفاق حولهم من الشبه والاضاليل والتخرصات

فاذا رجعوا الى انفسهم بعد ذلك وجدوا الانقسام الذي كان بينهم، من اختلاف المناهج التي دفعت بهم اليها الدعايات، قد استحال وفاقا وتقاربا لانهم استمدوا إصول نظرهم من مادة واحدة ووجدوا الحرج الذي كان يملأ نفوسهم من تلقي دعوات متخالفة غريبة قد انقلب راحة واطمئنانا عندما تلقوا هذه الكلمة الحقة الصالحة بفطرتهم وكرعوا من هذا النهر المطهر الذي قامت عليه جامعتهم وارتوت منه حضارتهم على مر الزمان

وهم في هذا القصد الى مورد الدين بحاجة الى هاد يهديهم طريقه ويوضح معالمه ويرشد الى مباديه واضحة نيرة معصومة مما تعلق بها من الجهالات وغم عليها من الخفاء والغموض، وحاد يحدو بهم مترنما بذكريات السائرين قبلهم في هذا السبيل الآمن الفائزين بما رحلوا له من الظفر بادراك المعرفة وملامسة الحق وبما بذل قادة القوافل قبلهم من جهود في ابتكار الطرق وتمهيدها وحفظ سلامة السائرين عليها حتى اصبحنا نسير اليوم في طرق مرفوعة المنارات موطاة الاكناف واثقين بما ينتظرنا في نهاية الطريق من السرى المحمود والامل المنشود

فذلك هو الواجب الذي تحفز اليه المجلة الزيتونية شباب الاسلام المرجى من الطلبة الزيتونيين فعليهم السير في القافلة ولمجلتهم الشرف بان تكون لمسيرهم هاديا وحاديا

واننا لنتفاءل خيرا عظيما من افتتاح هذا العمل في عصر اشرقت فيه بوادر الامل وبشائر النجاح بما ظهر في الافق السياسي الرسمي من العناية بشان الروح الدينية واحلال الحضارة الاسلامية بمنزلة التنويه والتمجيد في الخطب التي ما انفك يفوه بها في اكبر عواصم الثقافة الاسلامية بهذا القطر رجل البصيرة والسياسة جناب الجنرال ماست ممثل الحكومة الفرنسوية بعد ما توجه الى معاشر الزيتونيين خاصة من مظاهر الاهتمام الصادق عن العرش الملكي السامي لا زال عالي العماد باسطا ظل النهضة على البلاد.





من درس التفسير

لفضيلة المولى الاستاذ الاكبر سيدي
محمد الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

***

(الله يستهزئ بهم) لم تعطف هاته الجملة على ما قبلها مع امكان عطفها على جملة واذا لقوا او على جملة ومن الناس فان الجامع بين هاته الجملة وبين الجملتين السابقتين موجود وهو كون مضمون هذه الجملة كالمجازاة على مضمونهما والرد لمضمونهما ، قصدا بترك العطف الى التنبيه على انها جملة مستانفة استئنافا بيانيا واقعة جواب سؤال مقدر وذلك ان السامع لحكاية قولهم للمومنين ءامنا وقولهم لشياطينهم انا معكم يقول لقد راجت حيلتهم على المسلمين فهل يتفطن متفطن من المسلمين لاحوالهم فيجازيهم على استهزائهم او هل يرد لهم ما راموا من المسلمين ومن ذا الذي يتولى مقابلة صنعهم فكان للاستئناف بقوله الله يستهزئ بهم غاية الفخامة والجزالة . ولاجل هذا الاعتبار قدم اسم الله تعالى على الخبر الفعلي ولم يقل يستهزئ الله بهم لان مما يجول في خاطر السائل ان يقول من الذي يتولى مقابلة سوء صنعهم فأعلم ان الذي يتولى ذلك هو رب العزة تعالى وفي ذلك تنويه بشان المنتصر لهم وهم المؤمنون كما قال تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا . كان المنافقون غرهم ما يرون من صفح النبيء صلى الله عليه وسلم عنهم واعراض المؤمنين عن التنازل لمكافاتهم فيحسبون رواج حيلتهم ونفاقهم فتقديم اسم الجلالة لمجرد الاهتمام نظرا لترقب السامع معرفة من يتولى جزاءهم . وفعل يستهزئ المسند الى الله تعالى يجوز ان يكون تمثيلا لمعاملة الله اياهم بفعل المستهزئ من استدراجهم والاملاء لهم حتى يظنوا عدم المؤاخذة على استهزائهم فيظنوا ان الله راض عنهم وان اولياءهم قد نفعوهم حتى اذا نزل بهم

العذاب في الدنيا من القتل والفضح علموا خلاف ما توهموا فكان ذلك كهيئة الاستهزاء بهم ويدل لذلك قوله عقبه ويمدهم في طغيانهم يعمهون ولا يحمل على اتصاف الله بالاستهزاء حقيقة لانه لم يقع من الله معنى الاستهزاء في الدنيا ويجوز ان يكون يستهزئ بهم حقيقة يوم القيامة بان يامر بالاستهزاء بهم في الموقف وهو نوع من العقاب والى هذا نحا ابن عباس والحسن في نقل ابن عطية ويجوز ان يكون مرادا به جزاء استهزائهم من العذاب او نحوه من الاذلال والتحقير فعبر عنه بالاستهزاء مشاكلة او مرادا به لازم الاستهزاء مجازا من تحقير الشان وقلة الحرمة او مرادا به مثال الاستهزاء من رجوع الوبال عليهم والمعتزلة عينوا بعض هذه المعاني لان الاستهزاء عندهم محال اسناده الى الله حقيقية لانه قبيح وذلك مبني على المتعارف بين الناس وفي قياس صفات الله تعلى على متعارف الناس نظر. وانما جيء في قوله الله يستهزئ بالمسند الفعلي وجيء في حكاية كلامهم بالمسند الاسمي وهو انما نحن مستهزءون لان الغرض من كلامهم تبرئة انفسهم لدى شياطنهم من الخروج عن دينهم والاعتذار عما يبدو منهم المسلمين فالمنظور اليه هو وصفهم القائم بهم فجيء في حكايته بما يدل على الموصوف وهو اسم الفاعل الدال على حدث وصاحبه اما الغرض من اخبار الله تعلى بما يفعل بهم فهو اثبات ذلك والاعلام به فجيء فيه بالفعل لانه الاصل ولان المسند الفعلي وسيلة لافادة التقديم الاهتمام ولا يتاتى في المسند الاسمي ثم ان ذلك يستتبع تكرير الاستهزاء بهم والتكرير من خصائص المضارع وقولهم انما نحن مستهزءون يستلزم ان ذلك وصفهم وانهم ثابتون عليه

(ويمدهم في طغيانهم يعمهون) يتعين انه معطوف على جملة الله يستهزىء بهم . ويمد فعل مشتق من المد وهو الزيادة يقال مده اذا زاده وهو الاصل في الاشتقاق من غير حاجة الى الهمزة لانه متعد ودليله انهم ضموا العين في المضارع على قياس المضاعف المتعدي وقد يقولون امده بهمزة التعدية على تقدير جعله ذا مدد ثم غلب استعمال مد في الزيادة في ذات المفعول نحو مد له في عمره ومد الارض اي مططها واطالها وغلب استعمال المهموز في الزيادة للمفعول من اشياء يحتاج نحو أمده بجيش وامده بمال واستعمل احدهما في موضع الآخر على الاصل فلذلك قيل لافرق بينهما في الاستعمال وقيل يختص امد المهموز بالخير نحو اتمدونني بمال ان ما نمدهم به من مال وبنين ويختص مد بغير الخير ونقل ذلك عن ابي علي الفارسي في كتاب الحجة ونقله ابن عطيه عن يونس ابن حبيب الا المعدى باللام فانه خاص بالزيادة في العمر والامهال فيه عند الزمخشري وغيره خلافا لبعض اللغويين فاستغنوا بذكر اللام المشعرة بان ذلك لعلة النفع عن التفرقة بالهمز رجوعا للاصل لئلا يجمعوا بين ما يقتضي التعدية وهو الهمزة وبين ما يقتضي القصور وهو لام الجر وكل هذا من تاثير الامثلة على الناظرين وهي طريقة لهم في كثير من الافعال التي يتفرع معناها الوضعي الى معان جزئية له او مقيدة او مجازية ان يخصوا بعض لغاته او بعض احواله ببعض

تلك المعاني قصدا للتنصيص في الكلام ودفع اللبس بقدر الامكان وهذا من لطائف الاستعمال وليس من اصل الوضع فلا يقال ان دعوى اختصاص بعض الاستعمالات ببعض المعاني هي دعوى اشتراك او دعوى مجاز وكلاهما خلاف الاصل لان ذلك التخصص كما علمت اصطلاح في الاستعمال لا تعدد وضع ولا استعمال في غير المعنى الموضوع له ونظير ذلك قولهم في فرق بالتخفيف وفرق بالتضعيف ووعد واوعد ونشد وانشد ونزل (المضاعف) وانزل وقولهم العثار مصدر عثر اذا اريد بالفعل الحقيقة والعثور مصدر عثر اذا اريد بالفعل المجاز وهو الاطلاع. وتعلق فعل يمدهم هنا بضمير ذواتهم تعليق اجمالي يفسره قوله في طغيانهم وقال الزجاج والواحدي اصله يمد لهم فحذفت اللام اي يمهلهم فيكون نحو ما فسر به قوله الله يستهزىء بهم وقد بعد. والطغيان مجاوزة الحد في الترفع والعتو والتكبر. والعمه انطماس البصيرة وتحير الراي وفعله عمه فهو عامه وعمه واعمه والجمع عمه واسناد الزيادة في الطغيان الى الله تعلى على الوجه الاول في تفسير قوله يمدهم اسناد خلق وتكوين منوط باسباب التكوين على سنة الله تعلى في حصول المسببات عن اسبابها فالنفاق اذا دخل القلوب كان من اثاره ان لا ينقلع عنها ولما كان من شان وصف النفاق ان تنمي عنه الرذايل التي قدمنا بيانها كان تكوينه في نفوسهم وعدم توفيقهم لما يقلع عنه تكوينا للزيادة فالله تعلى لا يزيدهم الطغيان لتقوية الطغيان في العالم ولكن بسبب موجب الزيادة فلذلك اسندت اليه ومثل هذا اسناد حقيقي لا مجاز عقلي لان الله هو المسبب والخالق للاسباب بلا واسطة ولم يكن اجراؤها على يد غيره فلم يكن ثمة مسند اليه على الحقيقة غيره بخلاف نحو بنى الامير المدينة لا سيما بعد التصريح بالاسناد اليه في الكلام بحيث لم يبق البناء على عرف الناس بحال بخلاف نحو يزيدك وجهه حسنا وسرتني رؤيتك لان ذلك وان كان في الواقع من فعل الله تعالى الا ان الفاعل الحقيقي غير ملتفت اليه في العرف فلذلك قال الشيخ عبد القاهر انه من المجاز الذي لا حقيقة له. واما المعتزلة فانهم احالوا ان تكون الزيادة في الطغيان من فعل الله تعالى لان الطغيان قبيح لذاته وفساد فتكلفوا لذلك بوجوه خارجة عن ذوق الاستعمال كما هي في كثير من تاويلاتهم ويغني عن ردها رد الداعي اليها وهو اعتقادهم استحالة المد في الطغيان على الله فهذا الاعتقاد راجع الى اصل مراعاة الصلاح والاصلح في الخلق والتكوين وهو تخليط بين التصرف التكويني والتصرف التشريعي. وانما اضيف الطغيان الى ضمير المنافقين ولم يكتف بتعريفه تعريف الجنس كما قال واخوانهم يمدونهم في الغي اشارة الى تعظيم شأن هذا الطغيان وغرابته في بابه وهو انه طغيان من كان من وصفه تلك الاوصاف السالفة الكذب والخداع والخوف والتستر برايه وما هي بصفات لائقة بالطاغين فلقد صدق عليهم المثل نفس الملوك وحالات المساكين وانما يلائم الطغيان من كان جريئا على عدوه جهيرا برايه واتقابامره

والمجرور متعلق بيمدهم ويعمهون جملة حالية

(اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) الاشارة الى من يقول آمنا بالله و باليوم الاخر وما عطف على الصلة من بقية صفاتهم ، وفصلت الجملة عن التي قبلها لان التي قبلها من فعل الله تعلى ومضمون هذه من افعالهم فبينهما شبه كمال الانقطاع واسم الاشارة هنا غير مراد به ذات مشار اليها وانما اريد به من اجتمعت فيهم الصفات الماضية فانكشفت احوالهم حتى صاروا كالحاضرين وقد وجه شراح الكشاف فصل هذه الجملة بوجوه ضعيفة وهي على تفاوتها في القرب والبعد من السياق .قد اتسقت فيما اصطفيناه اتم اتساق .وليس في اسم الاشارة اشعار ببعد او قرب حتى تفيد تحقيرا ناشئا عن البعد لان لفظ اولئك من اسماء الاشارة الغالبة في كلام العرب فلا عدول فيها حتى يكون العدول لقصد ولان المشار اليه هنا غير محسوس حتى يكون له مرتبة معينة ويكون العدول عن لفظها لقصد معنى ثان . والاشتراء افتعال من الشري وشرى بمعنى باع فاشترى بمعنى ابتاع فاشترى و ابتاع مطاوعة اشاروا الى ان فاعله هو الذي قبل الفعل اي اخذ ما به عوض البيع والاشتراء والابتياع اخذ الاشياء بدفع عوض فكل مبتاع هو بائع وكل مشتر هو شار باختلاف الاعتبار اما اعتبار الجهة الاخذة للمرغوب الباذلة للزائد واما اعتبار الجهة الاخذة لما به الانتفاع الباذلة للنقد ، وقد ذكر كثير من اللغويين ان شرى وان كان بمعنى باع الا انه قد استعمل بمعنى ابتاع كثيرا وهذا مشهور بين الفقهاء والمؤلفين وعندي انه غير صحيح الا باعتبار ان كل بائع فهو مشتر والشراء هنا مجاز مرسل مراد به معنى الاستبدال لانه لازم للشراء او لانه مطلق استبدال والشراء استبدال مقيد فالعلاقة الاطلاق والتقييد وهو مجاز شائع قال الحماسي

انا بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا هو بالابناء يشرينا

اي يستبدلنا وقال عنترة بن الاخرس المعني :

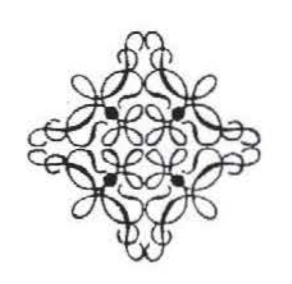
ومن ان بعت منزلة باخرى حللت بامره وبه تسير

اراد ان استبدلت مكانا بغيره سرت عن رأيه والموصول في قوله الذين اشتروا تعريفه كتعريف المحلى بلام الجنس اذ ليس ثمة فريق عهدوا بانهم الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالوجه ان هذا الموصول بمنزلة لام الجنس اي المتحدث عنهم هم جنس المشترين فلا تفيد الآية قصرا .

(فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) رتبت الفاء عدم الربح المعطوف بها ونفي الاهتداء على اشتراء الضلالة بالهدى لان كليهما ناشيء عن الاشتراء المذكور في الوجود والظهور لانهم لما اشتروا الضلالة بالهدى فقد اشتروا ما لا ينفع وبذلوا ما ينفع فلا جرم ان يكونوا خاسرين وان يحقق انهم لم يكونوا مهتدين فعدم الاهتداء ونحوه وان كان سابقا على اشتراء الضلالة بالهدى او هو عينه او هو سببه الا انه لكونه عدما فظهوره للناس في الوجود لا يكون الا عند حصول اثره وهو ذلك الاشتراء فاذ ظهر اثره تبين للناس المؤثر فلذلك صح ترتيبه بفاء الترتيب فاشبه العلة الغائية ولهذا عبر بما كانوا مهتدين دون ما اهتدوا لان ما كانوا ابلغ في النفي لاشعاره بان انتفاء الاهتداء منهم امر متاصل

سابق قديم فكان نفي الكون في الزمن الماضي انسب بهذا التفريع . والربح هو نجاح التجارة ومصادفة الراغبين في السلع باكثر من الاثمان التي اشتراها بها التاجر ويطلق الربح على المال الحاصل للتاجر زائد على راس ماله وفيه في الاية تمثيل لحال المنافقين اذ قصدوا النفاق لغاية فاخفقت مساعيهم وضاعت مقاصدهم بحال التجار الذين لم يحصلوا من تجارتهم على ربح فلا التفات الى راس مال في التجارة حتى يقال انهم اذا لم يربحوا فقد بقي لهم نفع راس المال حتى يجاب بان نفي الربح يستلزم ضياع راس المال لانه يتلف في النفقة من القوت والكسوة لان هذا كله غير منظور اليه اذ الاستعارة تعتمد على ما يقصد من وجه الشبه فلا تلزم المشابهة في الامور كلها كما هو مقرر في البيان وانما اسند الربح الى التجارة حتى نفاه لان الربح لما كان مسببا عن التجارة وكان الرابح هو التاجر صح اسناده للتجارة لانها سببه فهو مجاز عقلي وذلك انه لولا الاسناد المجازي لما صح ان ينفي عن الشيء ما يعلم كل احد انه ليس من صفاته لانه يصير من باب الاخبار بالمعلوم ضرورة فلا تظن ان النفي في مثل هذا حقيقة نظرا الى ان انتفاء الربح عن التجارة واقع ثابت فانها لا توصف بالربح وهكذا تقول في نحو قول جرير : وما ليل المطي بنائم بخلاف ما ليله بطويل والحاصل انك تنظر في النفي الى المنفي لو كان مثبتا فان وجدت اثباته مجازا عقليا فاجعل نفيه كذلك والا فاجعل نفيه حقيقة لانه لا ينفى الا ما يصح ان يثبت وهذه هي الطريقة التي انفصل عليها العلامة التفتزاني في المطول وعدل عنها في حواشي الكشاف وهي امثل مما عدل اليه

وقوله (وما كانوا مهتدين) الاهتداء فيه مطلق بمعناه اللغوي وهو معرفة الطريق الموصل الى المقصود وليس هو بالمعنى الشرعي المتقدم في قوله اشتروا الضلالة بالهدى فلا تكرير في الاية ومعنى نفي الاهتداء كناية عن اضاعة القصد اي انهم اضاعوا ما سعوا اليه ولم يعرفوا ما يوصل لخير الآخرة ولا ما يضر المسلمين وهذا نداء عليهم بالسفه في الرأي والخرق وهو كما علمت فيما تقدم يجري مجرى العلة لعدم ربح التجارة تشبيه سوء تصرفهم حتى في كفرهم بسوء تصرف من يريد الربح فيقع في الخسران بقوله وما كانوا مهتدين تمثيلية ويصح ان يوخذ منها كناية عن الخسران واضاعة كل شيء لان من لم يكن مهتديا اضاع الربح واضاع راس المال بسوء سلوكه





كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة

من صحيح البخاري

باب لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق وهم اهل العلم

حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسمعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم امر الله وهم ظاهرون

الشرح

ان الله تعالى وضح طريق الهداية وجعل اتباع الرسول عليه دليلا فاقر له اهل التقوى وآمنوا به وبرسوله ولم يتخذوا من دون الله وكيلا وايدهم بروح منه لما رضوا بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وكنزا ثمينا واقام سبحانه في ازمنة الفترات من يكون لبسان سنن المرسلين كفيلا واختص هذه الامة بانه لا تزال فيها طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله ولو اجتمع الثقلان على حربهم قبيلا يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون منهم على الاذى ويحيون ما درس من السنة المثلى فهم احسن الناس هديا واقومهم قيلا واعتصموا بحبل الله المتين واجتمعت كلمتهم على نصرة هذا الدين وحسنت سيرتهم بين العالمين فبشرهم ربهم بالجنة ورضوانه لا يرضون عنهما بدلا كيف لا والاعتصام بحبل الله المتين قد امر الله به في كتابه المبين فقال وهو اصدق القائلين :

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقد عقد الامام البخاري في صحيحه هذا الكتاب وترجمه بكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة

والاعتصام افتعال من العصمة وهي المنعة في كلام العرب والعاصم المانع واعتصم فلان بالشيء اذا استمسك به في منع نفسه من الوقوع في الآفات ومنه قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام مع زليخا : ولقد راودته عن نفسه فاستعصم

والحبل معروف وكل سبب يوصل الى شيء فهو حبل واستعماله في الامور المعنوية من باب الاستعارة

وقد تعددت كلمة المفسرين في المراد به في الآية الشريفة فنقل عن حبر هذه الامة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه العهد

وقيل المراد به الدين وصدر به القاضي البيضاوي وقيل المراد به القرآن لما روي عن الامام علي كرم الله وجهه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال : كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين

وقيل المراد به جماعة المسلمين بقرينة قوله تعالى : ولا تفرقوا

وقال الفخر الرازي المراد به كل ما يمكن التوصل به الى الحق في طريق الدين وذلك انواع كثيرة وقد ذكر كل مفسر واحدا منها والتحقيق ان كتاب الله ـ وعهده ودينه وموافقة جماعة المؤمنين حرز لصاحبه من السقوط في جهنم

فالاعتصام مستعار للوثوق بالله تعالى والاستعانة به والالتجاء اليه والحبل مستعار للعهد وهو ما تقلده المؤمنون من الايمان والطاعة قال في الكشاف في بيان معنى الآية : والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه ويكون معني هذه الآية كالذى قبلها وهي قوله تعالى : ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم

فالاعتصام بحبل الله هو الاستمساك به تعالى ومنع النفس من الكفر والعصيان والاجتماع على الحق: وقوله ولا تفرقوا هو نهي عن الاختلاف وكل ما يؤدي الى الخصومات ويوقع في المعاداة ويفضي الى الفرقة ويزيل الالفة والمحبة فهي أمور من شأنها ان تزيل الجامعة او تضعفها كما قال تعالى في الآية الاخرى : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . ومناط النهي الامور التي تؤدي الى الافتراق ويزول معها الاجتماع والالفة فاذا تجنبها الانسان سلم من شرها . قال العلامة ابن خلدون الخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن نزعهما وانما يتعلق التكليف بأسباب حصولهما فيتعين السعي في اكتساب الخير باسبابه ودفع اسباب الشر والمضار

ويظهر من ترجمة البخاري انه يرجح ان يكون المراد بالحبل الدين فان الكتاب والسنة هما الطريق الموصل اليه ومصدره

وقد ساق البخاري في هذا الكتاب حديث الباب وعنون له بباب « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم اهل العلم » هذا العنوان مقتبس من لفظ الحديث الذي خرجه الامام مسلم في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه

وهذا الحديث خرجه البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه خرجه في علامات النبوة وخرجه في كتاب الاعتصام . وخرجه في كتاب العلم وخرجه مسلم والترمذي والحاكم والامام احمد رضي الله عن جميعهم من طرق مختلفة وباسانيد متعددة ورواية البخاري في هذا الكتاب عن شيخه عبد الله بن موسى العبسي الكوفي وهو من كبار شيوخ البخاري ومن اتباع التابعين وهو يرويه عن شيخه اسمعيل ابن ابي خالد التابعي وهو يرويه عن شيخه قيس بن ابي حازم وهو من كبار التابعين وهو مخضرم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم تثبت له صحبة وهو يرويه عن المغيرة بن شعبة الصحابي المشهور رضي الله عنه ورجال السند كلهم كوفيون حتى المغيرة رضي الله عنه فانه ولي امر الكوفة غير مرة وكانت وفاته بها

قال صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين الطائفة الجماعة الكثيرة وقد عبر عنها في الرواية الاخرى بالامة والقوم والعصابة وهي وان اختلفت في اللفظ فمدلولها متقارب والمعنى لا تزال جماعة من أمتي ظاهرين والظهور العلو والغلبة فيكونون متعاونين على الحق . وقوله على الحق هو كما في الرواية الاخرى على امر الله اي مستمسكين بامر الله وهو دينه الحق

والحق في الاصل ضد الباطل ويشمل الدين القويم والقرآن العظيم فان الكل حق وامر الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

وقد امرنا في دين الله ان نجهر بالحق وندعو الناس اليه ونقاوم من يتجرأ عليه بالقول والفعل ولا نترك الناس ينتصرون للباطل ورغبنا القرآن في التواصي بالحق والصبر عليه قال تعالى : والعصر ان الانسان لفي خسر الّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر . قال ابن قيم الجوزية في سفر السعادة قال الشافعي رضي الله عنه لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم وبيان ذلك ان المراتب اربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله احداها معرفة الحق الثانية عمله به الثالثة تعليمه من لا يحسنه الرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه فذكر في هذه السورة المراتب الاربعة واقسم سبحانه بالعصر ان كل احد في خسر الا الذين آمنوا وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به فهذه مرتبة . وعملوا الصالحات وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه مرتبة اخرى وتواصوا بالحق وصى به بعضهم بعضا تعليما وارشادا وهذه مرتبة ثالثة وتواصوا بالصبر صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضا بالصبر عليه والثبات فهذه مرتبة رابعة وهذه نهاية الكمال فان الكمال ان يكون الشخص كاملا في نفسه مكملا لغيره وكماله باصلاح قوتيه العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالايمان وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه اياه والصدق في ذلك وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل فهذه مراتب الكمال ومن حاد عن جميعها لا جرم ان يكون من الخاسرين .

وقد صح ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا اذا اجتمع اثنان منهم لم يفترقا حتى يقرأ احدهما على الآخر هذه السورة الى آخرها ثم يسلم احدهما على الآخر . وذلك ليذكر صاحبه بما اشتملت عليه خصوصا التواصي بالحق والتواصي بالصبر (١)

وظهور طائفة المسلمين التي على الحق يكون بتمسكهم بغلبة الباطل والعلو على أهل الفساد وذلك يحصل باحد امرين اما بتمسكهم بدينهم واعتصامهم بالحق الذي هم عليه وعدم اتباع اهل الاهواء والركون للذين ظلموا وان كانوا اشد منهم بأسا واكثر منهم نفرا فلا يخشونهم ولا يخافون بطشهم ولا يتبعون اهل الكفر والفساد

واما بالضرب على ايدي المفسدين وقهرهم حتى تكون كلمة الحق هي العليا ويسلم الناس من شرور اهل الباطل والفساد

قال الله تعالى : ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين . فالله سبحانه جلت حكمته يدفع اهل الفساد بآخرين هم اهل الصلاح لير دوهم عن غيهم

قال الامام الرازي قد ذكر الله المدفوع والمدفوع به فقوله تعالى : ولولا دفع الله الناس بعضهم اشارة الى المدفوع وقوله (ببعض) اشارة الى المدفوع به واما المدفوع عنه فغير مذكور في الآية فيحتمل ان يكون الشرور في الدين ويحتمل ان يكون الشرور في الدنيا ويحتمل ان يكون مجموعهما وذكر خمسة اوجه بحسب كل من من هذه الاحتمالات لبيان كيفية الدفع

والاوجه منها ان يكون المدفوع عنه جميع انواع الشرور بما يشمل الكفر والعصيان والهرج وتعدي الناس بعضهم على بعض

وعليه فيكون المدفوع بهم هم الانبياء وامراء العدل وأئمة الهدى والقائمون بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاة المنصوبون للضرب على المفسدين وكل من يقاوم اهل الباطل افرادا وجماعات والمدفوعون هم اهل الفساد بصفة عامة ومطلق اهل الشرور

ولما كان الفساد يصدر تارة عن الجهل وسوء الفهم واحيانا عن غلبة الهوى وتحقيق الحظوظ ومرة عن فساد في الطبع وسوء القصد كانت طرق الاصلاح متعددة بحسب اختلاف الاسباب

اولها النصح والارشاد وثانيها الضرب على ايدي المفسدين وعدم التغاضي عنهم وصدهم عن اتباع الهوى وثالثها عقوبة المجرم لا فرق بين عظيم وحقير

فمن كان يعمل السوء بجهالة اسرع الى قبول النصيحة وبادر الى الاقلاع والانابة ومن كان مصرا على خطيئته اخذ بذنبه

وبهذا يتبين ان امر الارشاد عظيم واثره حميد ضرورة ان عليه شطر الاصلاح الديني والمدني

(١) انظر الالوسي جزء ٩ صحيفة ١٤ طبعة بولاق

بيد انه لا يفي بالمطلوب الا اذا وجد مؤيدا من ارباب السلطة والنفوذ. فاذا تعاون الجميع على الدفع والاصلاح امكن نشر الحق والفضيلة بين الناس وقد علمنا ان وازع الدين والمروءة لا يقومان وحدهما بصلاح الكافة فلذلك جعل الله تعالى لحفظ النظام العام وازع السلطان الذي يقوم بتنفيذ احكام الشرع

وقوله صلى الله وسلم : لا يضرهم من خذلهم اي لا يضرهم من يتبع سبيلا غير سبيل الحق ويستنكف عن مناصرتهم ما داموا دائبين على الهدى عاملين على اعلاء كلمة الله يقيمون شريعة الاسلام ويحفظونها من عبث المخالفين

وقوله صلى الله عليه وسلم (حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) فسر جماعة من شراح الحديث ذلك بقيام الساعة معتمدين على ما رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة

لكن قد جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وهو في مسلم قال صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق وهم شر من اهل الجاهلية لا يدعون الله بشيء الا رده عليهم . فعارضه عقبة بن عامر رضي الله عنه بما يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسلم ايضا : لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة . فقال له عبد الله اجل ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبة من الايمان الا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة

ومن ثم قال الامام النووي رحمه الله المراد بأمر الله هو الريح وتأول قوله حتى تقوم الساعة بالقرب

وقد تعددت اقوال العلماء في تعيين هذه الطائفة فقال البخاري هم أهل العلم وهو ما ذكره في آخر ترجمة الباب وقال الترمذي سمعت محمد بن اسمعيل البخاري يقول سمعت علي بن المديني يقول هم اصحاب الحديث وهذا ليس قولا ثانيا للبخاري بل هو نقله عن ابن المدني وروى الحاكم عن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال ان لم يكونوا اهل الحديث فلا ادري من هم . قال القاضي عياض اراد احمد اهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب اهل الحديث

وهذان الحملان متقاربان في حمل الطائفة على الجماعة المتمسكة باحكام الدين المحافظة على شريعة الاسلام المعتصمة بالكتاب والسنة

ولكن قد جاء في وصفهم انهم يقاتلون على الحق كما في رواية عقبة بن عامر المتقدمة

فالظاهر ان يكون في الامة من يقوم بحفظ الدين وهم ائمة الهدى وفيها من يقوم بأمر الدفاع عن بيضة الاسلام فمنهم من يدافع عن الاسلام باللسان ومنهم من يدافع عنه بالسلاح

ودخول ائمة الهدى في الطائفة ترشد اليه آية الاعراف وهي قوله تعالى : وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون . كما يرشد حديث عقبة بن عامر الى دخول اهل الحل والعقد واصحاب السلاح واعتبار الجميع هو ما تفيده عبارة الامام النوري حيث قال :

يحتمل ان تكون هذه الطائفة مفرقة بين انواع المؤمنين فمنهم شجعان مقاتلون ومنهم فقهاء ومحدثون وزهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ومنهم انواع أخرى من اهل الخير قال ولا يلزم ان يكونوا مجتمعين في بلد واحد بل يكونوا منفرقين في أقطار الارض

وبهذا نعلم معنى قوله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، إن المجدد لا يلزم أن يكون شخصا واحدا حتى يحتار فيمن هو فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا تنحصر في نوع وخصال الاصلاح قل ان تجتمع في شخص

قال الحافظ بن حجر في الفتح حمل بعض الائمة الحديث على أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل مائة سنة واحد فقط بل يكون الامر فيه على معنى يبعث جماعة توفرت فيهم دواعي الاصلاح قال وهو متجه فأن اجتماع خصال الخير والاصلاح لا يلزم أن تتحقق في شخص واحد الا أن يدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه كان قائما بالامر على رأس المائة الاولى ومن ثم أطلق الامام أحمد ابن حنبل انهم كانوا يحملون الحديث عليه

قال واما من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفا بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن قائما بأمر الجهاد والحكم بالعدل فعلى هذا كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا

هذا وفي سوق البخاري هذا الحديث المبارك في كتاب الاعتصام من حيث أن هذه الامة الفاضلة لا تزال فيها طائفة متمسكة بحبل الله المتين إلى أن يأتي أمر الله وفيه وعد من الصادق الامين لامته أنها ما دامت على الحق متمسكة به فإنه لا يضرها من خالفها ولا يغلبها من يريد بها سوءا

وبشارة منه عليه الصلاة والسلام بقيام هذا الدين إلى أن يأتي أمر الله وإن قلّ الناصر وعاد غريبا كما بدأ أول مرة

وتصريح بخاصية مما خص الله به أمته عليه الصلاة والسلام ببقاء جماعة من اهل الحق ظاهرين هادين مهتدين وهو وإن حصل لبعض الامم إلا أنه انتهى بانتهاء شريعة الرسول المرسل اليهم

نقل الالوسي عند تفسير قوله تعالى (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) عن قتادة رضي الله عنه قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأ هذه الآية هذه لكم وقد اعطي القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون

فكانت خاصية هذه الامة في البقاء إلى آخر الزمان وكم هي بشارات النبي صلى الله عليه وسلم وماذكره مما تفضل به رب العزة جل جلاله على أمة رسوله وحبيبه وصفيه ولا نطيل في تعدادها فأمرها مشهور ويكفينا منها حديث التسبيح . الذي ختم به الامام البخاري هذا الصحيح (انتهى)

محمد الشاذلي بن القاضي

الفتاوى والاحكام

مسالة اقامة السدود

على الاوديـة

في حدود سنة ١٢٧٥ حدث خلاف في شأن الري بوادي نبهانة وهـو واد يتكون من جبل زغوان ويمر جنوبـا إلى جهة الجبيبنه ثم يدخل عمل القيروان فيسقي هنشير سيسب المشهـور وينصب إلى هنشير العلم حيث يتفرق جداول

ويظهر وجه هذا الخلاف من نص السؤال وقدعرض السؤال من طرف الدولة التونسية على ثلاثة من أعلام الشريعة يومئذ هم المقدسون شيخا الاسلام سدي محمد بيرم الرابع وسيدي أحمد ابن حسين القمار الكافي والمفتي الشيخ سيدي محمد البنا فأجابوا بما يراه القاري مسطورا نقلا عن خطوط ثلاثتهم

نص السؤال الرسمي

واد بنواحي القيروان مجاور لهنشير سيسب والجبيبنة فإذا جاء السيل وجرى الوادي انصب المـاء بهنشير سيسب فسقاه وهذا الانصباب ليس لاهل سيسب عمل فيه بل اقتضاه الانحدار الطبيعي للماء لانخفاض ذلك الهنشير فرام أهـل هنشير الجبيبنة أن يتخذوا سـدا مما يلي هنشير سيسب ويحولوا جريان الماء إلى هنشيرهم فهل لهم ذلك أو لا ؟

الجواب الاول

إن التصرف في النهر الغير المملوك مباح بشرط عدم الإضرار فان كان التصرف مضرا منع منه صاحبه ولكل احد ولاية المنع هذا نص المذهب المدون في متونه وشروحه . وحيث كان السدمضرا بأهل سيسب فلهم المنع منه شرعـا إعمـالا للنص المذكور اعلاه القائل ان لكل أحـد ولاية . والله تعالى أعلم . وكتبه محمد بيرم المفتي الحنفي بتونس لطف الله تعالى به وحرسها

الجواب الثاني

بعد حمد الله والصلاة والسلام على أفضل خلق الله وعلى آله وصحبه

إن الامر إذا كان كما ذكر فليس لاهل الجبيبنه أن يحدثوا سدا يقطع جريان المـاء إلى سيسب لان الاصل في الماء الذي لا ملك لاحدعليه أن يترك لمن مال اليه لانه رزق ساقه الله اليه . وفي سماع عيسى من كتاب السدود والانهار من قول ابن وهب وابن القاسم مـا نصه : وسئل ابن وهب عن القوم يكون لهم مرج يزرعـون فيه وللمرج واد فإذا كانت السيول سقى مرجهم وان ذلك الوادي انصرف عن موضعهم إلى مرج غيرهم هل يحل لهم أن يسدوا مصرف الوادي عن مرج الآخرين حتى يرجع اليهم ؟ قال إن كان الماء قد دخل أرضهم قبل أن ينصرف فهم أولى به حتى يسقوا مـا عندهم به ثم يسرحوا الفضل إلى إخوانهم حتى يسقوا ماعندهم وإن كان الماء انصرف عنهم قبل أن يدخل شيئا من

أرضهم فلا أرى لهم أن يقطعوه على إخوانهم إلا أن يكون فيه سعة لهم جميعا لان الماء غيث يسوقه الله إلى من يشاء وقد قال الله تعالى (ولقد صرفناه بينهم ليذكروا) يريد المطر فإذا صرفه الله إلى قوم فلا ينبغي لاحد أن يقطعه عنهم . وقال ابن القاسم مثله انتهى نص السماع على نقل بعضهم رحمه الله . ثم قال وقبله ابن رشد قائلا هذه مسألة صحيحة بينة قال ونقل اللخمي نحوه عن المجموعة فقبلها مسلما ونقله ابن عرفه وسلمه .

ومحل الاستشهاد لنازلتنا قوله وإن كان الماء انصرف عنهم الخ .

وفي أول نوازل المعاوضات من المعيار ما نصه: سئل عن أهل قرية أرادوا رفع ساقية من الوادي الجاري بأرضهم ومن تحت موضعهم برفع الساقية بمقدار ميلين ساقية قديمة مرفوعة من الوادي المذكور فأراد أصحابها منعهم للضرر اللاحق بهم فأجاب : إحداث هذه الساقية إن كان يضر بأهل الساقية السابقة منعوا من إحداثها ولا يكون ذلك الا برضى منهم قاله محمد الحفار . انتهى . هذا ما حضرني والله تعالى أعلم وبه التوفيق . كتبه الفقير إلى رحمة الله أحمد بن حسين القمار المفتي المالكي بمحروسة تونس كان الله له آمين

الجواب الثالث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبيء بعده

وبعد فالجواب أن الهنشيرين إذا كانا متجاورين وليسا متقابلين وأحدهما أعلى أي قريب من الماء والآخر أسفل أي بعيد من الماء والماء غير متملك فالاعلى أحق بمقدار كفايته ثم يرسل فضل الماء على الأسفل وهذا فيما إذا أحيي مالكا الاعلى والاسفل معا أو أحيي مالك الاعلى قبل الاسفل فإن أحيي مالك الاسفل قبل الاعلى فالاسفل أحق بقدر كفايته ثم يرسل فضل الماء على الاعلى هذا نص العتبيه وبه أفتى ابن رشد في نوازله فإن كان الهنشيران متقابلين قسم الماء بينهما إن استويا في الاحياء وإلا فالمتقدم منهما أحق بقدر كفايته . والله أعلم وكتبه محمد البنا المفتي المالكي بتونس

الحضارة الاسلامية

في صقلية

جاء التاريخ يعيد نفسه ويحي لسواحل البلاد التونسية مفاخر سيادتها على البحر المتوسط لما تحركت منها مراكب الخلفاء لفتح جزيرة صقلية تستنشق من مد البحر المتوسط وجزره ذكريات المراكب التي دفعت بها رياح النصر منذ نحو من الف ومائتي عام بين راس ادار وسرقوسة .

فكان حقا على هذه الذكريات ان تهز الاقلام الملامسة لصحف التاريخ فتطلع على قرائها باستعراض هذا الاتصال القديم بين افريقية وصقلية وترسل ضياء ينير للناس معالم الحضارة الاسلامية في تاريخ صقلية تلك الحضارة المولدة عن الاتصال المحكم الذي ربط العدوتين قرونا طويلة .

كانت جزيرة صقلية من مطامح انظار الغزاة العرب منذ علت بهم السفن الاموية ثبج البحر

المتوسط فلم يزل امراء افريقية يوالون على صقلية غزوات كانت في تاريخهم تعتبر طورا تمهيديا للفتح فقد كان اول من غزاها فاتح افريقية معاوية ابن خديج الكندي فبعث اليها قائده عبد الله ابن قيس الفزاري حوالي سنة ٥٠ للهجرة ولم تزل تغزى بعد ذلك على التوالي حتى دوخت وضعفت عن مقابلة الغزوات العربية فدانت لامارة القيروان واصبحت تؤدي اليها الجزية وكان حصول هذا الطور الاول من اضمام صقلية للامارة الافريقية سنة ١٢٢ على يد البطل ابن الابطال عبد الرحمان بن حبيب بن عقبة بن نافع الفهري ،

وبهذا الطور ابتدأ استيلاء المسلمين على جزيرة صقلية فاصبحوا يسيطرون عليها سيطرة المراقبة التي يامنون بها على سلامة الاساطيل العربية من خطر السواحل الصقلية عند سيرها في البحر المتوسط وبذلك زادت رقعة نفوذهم على البحر اتساعا فكان من الطبيعي ان شوكة العرب البحرية كلما قويت زاد الخناق ضيقا على صقلية من قوتها فاقامت صقلية على هذا الوضع تسعين سنة كانت تتهيأ فيها يوما فيوما للاستيلاء النهائي من طرف الاساطيل الاسلامية ،

حتى اذا آلت الامارة الاغلبية بالقيروان الى زيادة الله الاكبر ونهض نهضته لانجاز البرنامج العظيم الذي لم يزل عرب افريقية يصبون الى انجازه وهو انشاء السلطنة الاسلامية المحيطة بحوض البحر المتوسط اصبح امتلاك صقلية نهائيا امرا متحتما لتكون المرحلة الاولى للعبور الى القارة الاروبية وذلك هو الغرض الذي انشأ له زيادة الله اسطوله العظيم واعد له مرسى سوسة ودار الصناعة بها ،

وفي سنة ٢١٢ تهيأت لزيادة الله الاسباب لتنهية حالة المهادنة التي كانت بين صقلية والقيروان بما ظهر في جزيرة صقلية من الانقسام بين البطريق الوالي عليها من طرف ملك القسطنطينية وبين قائد الاسطول بها وما ظهر من البطريق من الاستخفاف بشروط الصلح مع المسلمين اذ امتنع من ارجاع اسرى مسلمين وقعوا بيده مع ان شروط الصلح تقتضي ان كل مسلم بصقلية اراد ان يخرج فعليهم رده ،

وقد كان هذا الامتناع صريحا على لسان رسل وجههم بطريق صقلية الى القيروان وجمع زيادة الله علماء القيروان لذلك فكان اقواهم بيانا في اعتبار هذا العمل نقضا لشروط الصلح مبيحا لمعاودة الغزو قاضي القيروان اسد بن الفرات وببيانه اخذ زيادة الله فنقض الصلح مع صقلية وامر بغزوها وجعل القاضي اسد بن الفرات اميرا على جيش الغزو ،

وكان هذا الجيش يتركب من عشرة آلاف مقاتل فيهم تسعمائة فارس وكان ركوبه البحر من سوسة مشهودا حضر له اعيان القيروان واقيمت له مظاهر الاحتفال والتكريم وكان اول نزولهم ارض صقلية بمدينة مازرة على الساحل الجنوبي الغربي لصقلية ومنها تقدموا يستولون على الحصون والقلاع حتى بلغوا مدينة سرقوسة وهي من اعظم مراسي صقلية فحاصروها برا ووصل الاسطول فحاصرها بحرا وكان الحصار طويلا شديدا توفي

اثناءه اسد بن الفرات وانتهى سقوط سرقوسة بعد عامين واستمرت المهاجمات والانتقاضات والمحاصرات والمدافعات بحيث لم تخلص جزيرة صقلية نهائيا للمسلمين الا سنة ٢٢٤ أي بعد ابتداء غزوها باثني عشر عاما وتولى القيادة العامة بعد اسد بن الفرات محمد بن الحواري وتوفي قبل تمام الفتح فولي بعده زهير بن عوف وعلى يده تم الفتح وبدات جزيرة صقلية تنجز ما اراد منها زيادة الله فاصبحت ماوى الاسطول الاغلبي واتخذت قاعـدة لفتح جزيرة سردانية وجزيرة قرشقه ومقـاطعة قلوريه وهي القطعة الجنوبية من ايطاليا المسماة في لسان الطليان اليوم (كالابري)

بقيت جزيرة صقلية في نظام حكمها ملحقة بالقيروان الحاقا مباشرا فكان الاغالبة يبعثون اليهـا العمال كما يبعثون الى جهـات البلاد الافريقية ولـم ينقطع منها دابر الفتن والتمردات فكانت عمالها يختارون من رجال الحزم والكفاءة حتى استعمل عليها احيانا بعض امراء البيت الاغلبي وحتى بلـغ الامر الى ان الامير ابراهيم بن احمد الاغلبي ملك القيروان باشر بنفسه القيادة العامة بصقلية في بعض الانتقاضات ودخل جنوبي ايطاليـا وتوفي هنـالك مهاجما لمدينة كسنتة فحمل ميتا الى بلرم ودفن بهـا آخر سنة ٢٨٩ وفي هذه الاثناء كانت هجرة المسلمين الى صقلية تتوافر والثقافة الاسلامية العربية تسير في طريق الانتشار فكانت القيروان معدن الاستمداد لجميع مظاهر الحيـاة الاجتماعية الاسلامية التي شملت جزيرة صقلية وكان المسلمون بصقلية كلهـم تبعا لاهل القيروان في مذاهبهم الدينية متمسكين بالعقيدة السنية والمذهب المالكي فكان من الطبيعي لما سقطت سلطنة القيروان السياسية بتغلب السلطنة العبيدية المهاجمة لها بقوة البربر وقامت السلطنـة الجديدة على اصول اعتقادية مخالفة لما يتمسك به اهل القيروان وقبضت القيروان بيد من حديد منعتها حركة رد الفعل ان يظهر اثر رد الفعل في جزيرة صقلية وقد كانت تتمسك بما يتمسك به القرويون وموقعها وراء البحر يجعلها بعيدة عن قبضة العبيديين فمنذ سنة ٢٩٧ اعلنت صقلية الثورة على عبيد الله المهدي ورفضت الطاعة العبيدية ودعوا الى طاعة الخلفـاء العباسيين ببغداد ولم يزل ملوك المهدية خائبين في معالجة الثورة بصقلية الى سنة ٣٣٥ حيث اختـار المنصور العبيدي لولاية صقلية احد مشاهير قـواده وهو الحسن بن علي بن ابي الحسين الكلبي فاظهر من الحزم في ضبط الامر والسياسة في استجـلاب النفوس ما رجع باهل صقلية الى طاعة ملوك افريقية لا سيما وقد رأوا طمـع اهل مقاطعة قلـورية في الاستيلاء على جزيرتهم اغتناما للاضطراب وبذلك عظمت قيمة الحسن بن ابي الحسين الكلبي في صقلية وافريقية ونالت صقلية به وببنيه استقـلالا داخليا فكانت ولايتهـا في آل أبي الحسـين الكلبيين يتداولونها تداول ميراث الملك مدة مـائة وثلاثين عـاما حتى أدركها الاحتـلال النورماندي وكانوا راجعين في التبعية العليا إلى الامامة العبيدية بالقاهرة

وقد كانت الحضارة العربية الاسلامية كامل الطور بن الاغلبي والعبيدي مزدهرة بصقلية ازدهارا عظيما وأعظم ما كان هذا الازدهار في عهد الكلبيين فقد كانت صقلية مدة حكمهم مقسمة تقسيما محكما

ومرتبة في توزيع الاعمال واستخلاص الخراج على أساليب لم يزل التقسيم الاداري لجزيرة صقلية مستمدا منها إلى اليوم وكان التقدم الاقتصادي في عهد العرب بالغا نهايته بسبب نشاط الفلاحة والصناعة ورسوخ العلائق التجارية المأمونة بين صقلية وبين مملكة القيروان التي هي سيدة طريق التجارة بين المشرق والمغرب وقد كان اختلاف الاصقاع التي ينتمي اليها العرب المهاجرون الى صقلية معينا على أمداد الجزيرة بأصول نتائج فلاحية مختلفة لم تكن معروفة فيها من قبل فقد نقلت اليها شجرة القطن من الشام ومصر وقصب السكر من طرابلس والفستق من الجريد وترة طرق ري الاراضي باتخاذ الحنايا ولم تكن معروفة من قبل بصقلية

وفي الصناعة اشتهرت صقلية باتقان نسج الحرير وصبغه ويقدر كثير من المؤرخين ان اهل اروبا تلقوا هذه الصناعة من صقلية في القرن الثاني عشر مسيحيا وفي عهد الحكم العربي استخرجت من صقلية معادن الفضة والحديد والنحاس والكبريت وللرخام والملح والصوان والنشم

وكان المسلمون فيها يعيشون إلى جنب أهلها من النصارى الذين بقيت لهم حرية التقاضي لدى رؤسائهم في أحوالهم الشخصية وبقيت الفاب حكامهم على ما كانت عليه في عهد التبعة البزنطنة وبقيت لهم كنائسهم التي كانت موجودة قبل الفتح الاسلامي ولم يكن مفروضا عليهم غير الجزية الشرعية التي كان مقدارها أقل بكثير مما كان مفروضا عليهم وعلى غيرهم من أهل السلطنة البيزنطية . كل هذا التسامح الاسلامي كان مجتمعا إلى روح دينية قوية وعناية كافلة باظهار شعائر الدين وتعظيمها فقد بلغ عدد المساجد بلرم وحدها ثلاثمائة في كل مسجد معلم للقرآن ومعلم القرآن لا يكلف الخروج إلى الجهاد عند مصادمة العدو ولعل هذه الكثرة في المساجد هي التي جعلت الصومعة شعارا لصقلية فقد ذكر بعض مؤرخي الافرنج ان راية مسلمي صقلية كانت خضراء في وسطها صورة صومعة سوداء وكان للمسلمين بصقلية مفنون ورئيس الفنيا وممن عرفنا من رؤساء الفنيا احمد بن الجزار وابو القاسم السرقوسي وعبد الحق الصقلي ولا شك ان رسوخ الدين وانتشار القرآن يقتضيان رواج العلوم الاسلامية وتمكن الادب العربي فلذلك اصبحت صقلية صقعا شهيرا من اصقاع العلوم الاسلامية مقصودا لاهل العلم فكان بعض الاندلسيين يرحل الى صقلية لاخذ العلم عن رجالها وكانت رحلة العلماء اليها من اطراف بلاد الاسلام شائعة فمن اشهر من رحل اليها صاعد بن الحسن الربعي البغدادي الاديب المتوفى بها سنة ٤١٧ ومنهم علي ابن حمزة البصري راوية أبي الطيب المتنبي توفي بها سنة ٣٧٥ ومنهم علماء الادب بالقيروان أبو الحسن ابن رشيق وأبو جعفر بن شرف

كما أمدت صقلية عالم الفكر الاسلامي والادب العربي بأعلام لم يحدد صنيهم شرق ولا غرب فمن أعلام الفقه الامام المفرد أبو عبد الله محمد المازري دفين المنستير المتوفى سنة ٥٣٦ ذو الصيت البعيد والاثر الخالد في التآليف القيمة والامام الشهير محمد بن عبد الله بن يونس الصقلي صاحب كتاب الجامع في الفقه المالكي توفي في سنة ٤٥١ والفقيه الكبير عبد الحق

ابن محمد الصقلي المتوفى بالاسكندرية سنة ٤٦٦ والقاضي عمر بن خلف الصقلي دخل تونس وولي قضاءها سنة ٤٦٤ ومن أعلام الساسة القائد العظيم جوهر الصقلي فاتح الشرق للعبيديين ومنشيء مدينة القاهرة ومن الادباء من لا يحصى كثرة ولا يفاضل شهرة حتى أن أبا القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع المتوفى بمصر سنة ٥١٠ الف كتابا سماه الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة اشتمل على مائة وسبعين شاعرا وعلى عشرين الف بيت وأشهر شعراء صقلية عند اهل الادب اليوم عبد الجبار بن حمديس الذي خرج من صقلية سنة ٤٧١ وتنقل بين الاندلس وبجاية وإفريقية وتوفي سنة ٥٢٧ وشعره سيار على السنة الادباء وهو مطبوع في ديوان نشر مرتين في ايطاليا وقد هام في شعره بوطنه صقلية وتفنن في وصف ملذات شبابه بها وهو القائل :

ذكرت صقلية والاسى يجدد للنفس تذكارها
فإن كنت أخرجت من جنة فإني أحدث أخبارها
ولو لا ملوحة ماء البكا حسبت دموعي انهارها

(للبحث بقية)

محمد الفاضل ابن عاشور



حياة التعليم

نفتتح هذا الباب من ابواب المجلة بمقال بديع كان كتبه للمجلة العلامة الكبير الاستاذ سيدي محمد الحجوي بمناسبة ذكرى مرور مائة سنة على تنظيم التعليم بجامع الزيتونة وقد حال تاخر وصوله عن الا ان دون نشره في ذلك الوقت فاحببنا ان لا يحرم المطالعون منه لما لهذا الفصل من القيمة العالية وقد كتبه منشئه الجليل اعتناء بشانهم على وفرة اشغاله وبعد الشقة بينه وبينهم فحيي الله همة الاستاذ رئيس المجلس الشرعي ولا قطع عن المجلة صوب قلمه

❁ ❁ ❁

تحية القرويين

للزيتونة

مضي مائة سنة على نظام الزيتونة

شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء

لا يتاح للمرء في حياته ان يعالج موضوعا من الكتابة تستلذه نفسه ويجري فيه قلمه بنشاط وانبساط الا قليلا لقلة ما في الحياة من فرص اوقات السرور ويعلم الله سروري اليوم حينما دعيت الى الكتابة حول مضي مائة سنة على نظام جامع الزيتونة عمره الله واني رغم كثرة الاشغال الغالبة امسك القلم لاخوض هذا المظمار بدافع مالي من

العواطف الطيبة نحو هذه الجامعة المزدهرة واعلامها النجوم الزاهرة واذا قصرت في هذا الموضوع الذي يستلزم الافاضة والاطالة فاوقات السرور قصيرة ؛ كيف لا اضمر لهذا الجامع ورجاله عواطف تقدير واخلاص وقد جلست غير مرة للاملاء فيه بين اعلامه وطلابه فلم اجد نفسي الا بين اخوان وخلان دانى عرفتهم وعرفوني منذ يوم (الست بربكم) اخلاق فاضلة وتواضع كامل وشيم طاهرة طبعوا على الانصاف وذلك خلق هو عنقاء مغرب في هذا المغرب . وجبلوا على الفضيلة وهي سر الحياة في كل الامم وعلى علم تفجرت عناصره ، وشدت النظام اواصره فأحر بها جامعة أن تقام الذكرى لاطوار حياتها ويشاد بذكرها بين اخواتها .

جلست للاملاء بين اعلام هذه الجامعة يحوطني منهم العطف المتناهي ويونسني منهم الانصاف والتواضع وقد ادركت ان العلم لا وطن له ولا حدود له غير الاخلاق وادركت سر ما يتحدث عنه التاريخ من صلاة المعهدين العلمية التي لم تنقطع والتي عادت على البلدين بالخير العميم واخذت مخيلتي تستعرض جزئيات الاتصال العلمي والسياسي التي سجلها التاريخ فتورد شيئا لا ياتي عليه الحد ولا يستقصيه العد وكانه عقد منضد في جيد تاريخ البلدين قد اختيرت لآليه وضمت الى بعضها باحكام ونظام فنظرت الى وفود القيروان وقد ساروا يقطعون بلاد افريقيا قاصدين الامام ادريس ليعمروا شطرا من عاصمته الفتية (فاس) بعدوة القرويين وشيدوا جامعها العظيم الذي لا زال يحمل واسمهم الى اليوم بايديهم واموالهم

وتشخصت مجالس ابي عمران ابن ابي حاج الفاسي المتوفى سنة ٤٣٠ يعطر بهاجو جامع القيروان فيحمل علم فاس الى تونس ثم يرد للمغرب ما تزوده بها من علم على يد المغاربة الواردين عليه فينشا فيما نشا عن هذا التبادل الطيب ما هو معلوم في التاريخ من قيام الدولة المرابطية بالمغرب على يد تلميذه عبد الله ابن ياسين ، ثم اتذكر دخول عبد المومن بن علي الموحدي الى البلاد التونسية لانقاذها من يد النرمان سنة ٥٥٥ (المتغلبين على صقلية) ودخول ابي الحسن المريني اليها سنة ٨٤٨ في ازيد من اربعمائة عالم من علماء المغرب فيهم امثال الشيخ محمد بن سليمان السطي ومحمد بن الصباغ المكناسي وابي العباس الزواوي وكلهم نشروا علما وتزودوا من آخر ودخل على ذلك العهد تونس كذلك الشيخ محمد بن عبد الرزاق الجزولي والشيخ محمد بن سعيد الرعيني ودخل فاسا من تونس امثال عبد الرحمن بن خلدون فيلسوف التاريخ وكثيرا ما ينقل اصحاب التراجم في التمثيل بسعة العلم وقوة العارضة وصفهم دروس عبد العزيز العبدوسي الفاسي تونس عندما دخلها سنة ٨١٧ وانكباب الناس عليه ونشره للعلم الغزير ونظيره محمد بن ابي الفضل المدعو خروف التونسي الذي دخل فاسا فجدد بها سند العلوم المعقولة والمنقولة واخذ عنه جلة من علماء القرويين كما اخذ هو عمن ادركهم بها من الاعلام وتوفي سنة ٩٦٦ ولو عرضنا سرد امثال هذه الصلات لضاقت عنها المجلدات وانما هذا محض تمثيل لتلك السلسلة من

الصلات المتصلة ولازالت الصلات العلمية والسياسية بعد ذلك تتصل بين القطرين الشقيقين ووفود الامام سيدي ابراهيم الرياحي في سنة ١٢١٨ في جماعة من اعيان تونس على عالم السلاطين وسلطان العلماء ابي الربيع مولاي سليمان لم يكن ببعيد منا وبلاط السلطان ابي الربيع اذ ذاك يزخر بالاعلام وتبودلت هنالك الافادات والاجازات بين الطرفين وقد ورث هذا الجيل والحمد لله تراث تلك الصلات التي وضع الاسلاف اساسها فاصبح بين القطرين الآن من الاتصال العلمي والادبي مالم تزل المشاهدة تغني في شانه عن البيان وفي المشاهدة اقوى بيان.

أجل ان جامع القرويين بالمغرب وجامع الزيتونة بتونس قد كانا في ذلك كله مركزي الجاذبية وقطبي الدايرة وكان ولا زال الفضل لهما في انعاش تلك الصلات وتغذية تلك العلاقات بمادة الاخاء العلمي والالفة الادبية وقد حق للقرويين اليوم وقد مضى على نظام اختها الزيتونة قرن كامل من حياته ان تشاطر باقلام رجالها في الاشادة بهذه الذكرى والتنويه بنجاح ذلك النظام

مضى على نظام هذا الجامع مائة سنة ولست ارى من سر خاص في الاحتفال بمضي المائة او او الالف واقامة الذكرى لمضي السنين الطوال على مشروع من المشروعات وليس مضي السنين وتعاقب الاعوام هو المؤثر في فضلية المشروع او الباعث الحق للابتهاج به بل العبرة بما نتج عن مرور هذه السنين والاعمال بنتائجها لا باعمارها فكم من مشروع مضت عليه المئات والالوف من السنين ولا يستحق أن يلتفت اليه وكم من مشروع يستحق التنويه في يومه الاول ، ذلك وقد شاهدت من نتائج نظام الزيتونة ما يستحق كل تقدير ويستوجب اقامة الذكريات كلما مرت عليه سنة بل يوم من عمره . ففي عدد مشايخه المتزايد وعدد طلابه الذي ضاق عنهم جامع الزيتونة ثم ضاقت عنهم ملحقاته من المساجد وفي النبوغ والعبقرية الظاهرتين في رجاله العظام وفي سير الدروس ومراقبتها وفي نظام مجلسه الاداري ما يبعث على الارتياح ولا أذهب بك إلى نتائج هذا النظام وأثره الخارجي بالبلاد التونسية فلك أن تلقي نظرة على مجلته الزيتونة لتتحقق من مفعول هذا النظام في ذلك المجتمع وأثره العملي في أقلام الكتاب وأفكار المفكرين وليس ذلك بابن يومه فإني لا زلت أذكر أبحاثا ورشحات أقلام كانت تطلع بها علينا فيما مضى مجلات قيمة في تونس ومصر وغيرهما من أثر أقلام مشائخ هذا المعهد ومن بينها مجلة الفجر فأمثال هذه الاثار والاثر يدل على المؤثر هي التي توجب الابتهاج بهذا النظام وإقامة الذكرى لمضي قرن عليه . مضى على هذا النظام قرن كامل وهو عمر ذو بال فلم يبلغ به إلى الهرم ولا الكهولة بل مضى به في طريق القوة والشباب ولا زال كل سنة يستقبل عنفوانا جديدا ويكتسب من القوة والحياة أفقا بعيدا .

فحيى الله واضع هذا النظام مولاي احمد باشا باي الاول وخلد اسمه في سجل المصلحين المحسنين لامتهم وحي اولائك الذين توالوا على هذا النظام بالسهر على تنفيذه وتكميله كالوزير خير الدين الذي طابق فيه الاسم المسمى ومولانا أحمد باشا باي الثاني فقد وثبت الزيتونة على عهده وثبتها المباركة

الادب

انفراج الازمة للاستاذ الطاهر القصار

مباهج اليمن في الملك الحسني   وآية الامن في العصر الامني
عصر تبدى الهنا في فجره فلقا   قضى على اثر الحرب الدجوجي
وأنطق الالسن الخرساء لاهجة   بحمد ظاهرة اللطف الالهي
عناية قد احاطتنا بوادرها   ففرجت كرب القذف السماوي
من بعد ما ترك الخضرا مشوهة   وشت جامعة الشعب الشمالي
وراع أم الحنايا في مصانعها   بحاصب من حصى الفولاذ ناري
صواعق من لظى عزريل تقذفها   صواعق لم تضق ذرعا بمرمي
تلفى مع الطير إلا أنها جرد   غازية الرَوح في اللون الغرابي
كانها وبساط الروح يحملها   قذيفة فلتت من كف جني

التي فسحت أمامها افاقا واسعة من الرقي والتقدم أصبحت تطمح اليها امالها وتحث نحوها خطاها وذلك شأن الانظمة الحية لا يقف بها نجاحها عند حد من الحدود وليس معنى الحياة إلا التقدم والازدياد وليس معنى الوقوف أو القهقرى إلا الاضمحلال .

وقد علم واضعو هذا النظام الجليل أن لا حياة إلا بالنظام فالنظام أصل ما في الديانة الاسلامية من حياة وأصل ما يحيط بالاسلام من بقاء ولو تفلسفنا ودققنا النظر في معنى لفظ الشريعة لوجدناه هو النظام للحياتين فقد بنت الصلاة والزكاة والصوم والحج ومشاريع خيرية ومظاهر دنيوية على انظمة حكمية تضمن لها البقاء في نفسها وتحفظ للمجتمع الاسلامي نظامه من جميع نواحيه المادية والادبية ولم يعظم الاسلام وتشتد شوكته إلا بالمحافظة على أنظمته القويمة والتمسك بها الى أقصى مداها وقد بقيت الدول الاسلامية عظيمة ما بقيت متمسكة بتلك الانظمة مطبقة اها على حياتها الفردية والاجتماعية ولم يبق في الاسلام رمق إلا بقدر ما بقي متمسكا بهذه الانظمة ولا بد ان تعود له حياته الاولى بقدر ما يسترجع من تلك الحياة النظامية البائدة حلها ولا يصلح اخر هذه الامة إلا ما صلح به أولها .

وإنني أهني الزيتونة العزيزة علي بمضي القرن على نظامها وأرجو لها تجديدا يزيدها في خطاها إسراعا نحو الهدف المقصود .

وإنني أعلم كما يعلم أعلامها العظام أن كل نظام محتاج الى التعهد والتجديد ولاسيما في عصر السرعة الذي هو عصر البخار والكهرباء فان اعمار الانظمة تقاصرت واصبح النظام الذي كان لا يحتاج للتجديد الا بعد قرن او قرنين محتاجا لذلك في عشر سنين

أو مارد سليمان استقى خبرا … فهب للفوز بالعطف النبيئي

❁ ❁ ❁

هلا تذكر والحمام تكنفه … طلائع الحرب في شكل هلالي
وقد رمت بالشظايا كل زاحفة … وفجر الارض نارا كل جندي
والناس قد جمدت رعبا محاجرهم … وأوقفوا موقف اليوم النهائي
كانهم في المخابي أمة قبرت … وجرعت جرعة الموت الحقيقي
لا تسمعن لهم ركزا ولا نفسا … سوى مراجعة الهمس اللساني
بقوا ثلاثة ايام تنازعهم … حشاشة الروح من راع ومرعي
حتى انبرت بشراء السلم هاتفة … وحن للغمد شوقا كل هندي
فعند ذا نهضوا غبرا كأنهم … تحدروا نسبا من صلب زنجي
وكلهم بأمين الملك منتشق … وهو المؤمل في الخطب اللجوجي
مملك زانت الخضرا مفاخره … وشرفتها بمرئي ومروي
يمناه لا تألف لآلاف راحتها … ولا تضم على نقد نضاري
يعطي فيخجل بالمعروف قاصده … كانه في العطايا نجل طائي
طلق المحيا أصيل الرأي مضطلع … في العلم ما بين شرعي وعقلي
حماه مجتمع تغشى نواديه … أولوا الحصافة والسحر البياني
كانهم والامين الطود بينهم … أعلام بغداد في القصر الرشيدي
اعظم بقصر ملاذ الناس سيده … بادي الفخار من الفرع الحبيبي
أعظم به قد حوى في القطر خير أب … وخير ناشئة البيت الاميري

❁ ❁ ❁

مولاي وجه إلى العرفان كل فتى … فالعلم للملك كالاصل الاساسي
وكن لكعبته الغرا ومد لها … يد المعونة بالحظ الضروري
فالعلم كالزرع إن شحت مناهله … اضحى غبارا لفقد الرعي والري

❁ ❁ ❁

هذا مديحي وذا شعري بعثت به … مع الاثير إلى الافق الملوكي
يتيه في حلل الابداع مزدريا … بشعر بغداد في العهد النواسي
ولبس كل نظام قاله لسن … شعرا ولا كل منثور بقسي

الطاهر القصار

التــاريخ

رزئت البلاد التونسية رزءا لم تبق طبقة من الطبقات العليا إلا أحست اثره وكانت المجلة أكثر الهيآت حساسية بفداحة هذا الرزء لانه أصاب ركنا متينا من الاركان فكرية التي قامت عليها من يوم بروزها ولانه نزل في وقت كانت المجلة فيه لا تجد سبيلا لاظهار ما لقيت من ألم المصاب فكان لها مع الفقيد ما كان لابي عطاء السندي مع صديقه ابن هبيرة وهما من انصار قضية واحدة إذ يقول في رثائه معتذرا عن عدم بكائه

ألا إن عينا لم تجد يوم واسط
عليك بجاري دمعها لجمود

ذلك هو المصاب بفقد رجل الفضل والسياسة ومظهر الادب والكياسة الكاتب الكبير والمؤرخ الشهير مستشار الدولة أمير الامراء سيدي محمد ابن الخوجه تغمده الله برحمته فكان حقا علينا للوفاء بما تقتضيه منزلة هـذا الرجل العالية ومـا له في عنق المجلة وقرائها من المنن أن نخصص هذا الباب من أبواب المجلة باب التاريخ التونسي في أول عـدد يبدو من المجلة بعد احتجابها للوقـاء بعهده وإحياء ذكراه في مكان من المجلة كان طيلة حياتها ملتقى القراء بفوائده المهمة وبيانه العذب

***

حياة الاستاذ محمد ابن الخوجه

(١)

في حي من أشهر احياء مدينة تونس خيم فيه الاحتشام وسكنته البذخة وتجاورت فيه عـائلات الشرف والمجادة وبيوت الوجاهة والسيادة هو حي حوانيت عاشور وفي ركن بيت عتيق من ذلك الحي توالدت فيه ثلاثة أجيال من آل ابن الخوجه الذين تغني سمعتهم في العلم والفضل عن التعريف بهم في جوار ذلك الجـامع الشامخ القبـاب الرحيب الرحـاب جامع محمد باي المرادي الذي تسلسلت إمامته في رجال هذا البيت المجاور له منذ عهد بعيد

بيت تعمر داخله التربية والفضيلة والذكريات الطيبة والاعتزاز بالسمعة الحسنة وبحوط خارجه الحرمة والاجلال والتكريم التي يدين بها أهل البلاد قاطبة لمن لم يزل ينسب اليه ذلك البيت لقرب عهد مفارقته له وهو العلامة الشهير شيخ الاسلام محمد ابن الخوجه المتوفى سنة ١٢٧٩

في هذا البيت ولد لاصغر أبناء شيخ الاسلام الشيخ محمد البشير ابن الخوجه ولد هو رابع أبنائه اسمه محمد سنة ١٢٨٦ في العهد الذي توالى فيه من ظلمات الفتن والاضطرابات ما بشر بقرب انبلاج الفجر فجر الاصلاح والتجديد

فلم يفتح عين إدراكه إلا وقد تمخضت الحوادث عن ظهور منقذ الوطن الوزير خير الدين ببرنامجه الاصلاحي العظيم الذي لم يغادر ناحية من نواحي المجتمع التونسي إلا عالجها

فاهتزت الحاضرة التونسية منتعشة بهذا النفس الحار الذي هب عليها وكان حي حوانيت عاشور الذي يسكنه الوزير واغلب الرجال الذين عليهم مدار حركته احس نقطة من مدينة تونس بهذه الحرارة واكثرها انفعالا بها

وكان الوسط العائلي الذي نشأ فيه المترجم يتصل بجسم النواحي الهامة في الحياة التونسية الحاضرة والغابرة فالعلوم قد حطت فيه رحالها والرئاسة الشرعية قد القت اليه زمامها اذ كان زعيم البيت الخوجي هو اظهر رجال الشريعة في بعد الصيت ورسوخ القدم في المنهج الاصلاحي العظيم الذي تهيأت البلاد لانتهاجه وهو كبير اخوته العلامة شيخ الاسلام احمد ابن الخوجة كاهية شيخ الاسلام اذ ذاك

وكانت الرئاسة الادارية قد ضمت بين جدران ذلك البيت الى الرئاسة الدينية بمنزلة الشيخ محمد البشير ابن الخوجه والد المترجم الذي لم يكد يبتدىء المسلك المعهود في آل بيته بولايته مدرسا من الطبقة الثانية حتى انتقل الى السلك الاداري فدخل ديوان الانشاء في صدر الدولة الصادقية وزانه واسرع به جواد القدم في ميدانه حتى بلغ رئاسة القسم الاول الذي هو القلب المحرك لسياسة المملكة الداخلية وكان من الذوات التي شاركت في ذلك العصر في الاعمال التأسيسية المهمة الشاملة لهيكل الحكومة التونسية فشهد المشاهد العظيمة وحضر المجالس العالية التي لم تزل آثارها خالدة في تاريخ البلاد

وكان هذا السيد يجنح في حياته الخاصة الى طرق البذخ والترف مخالفا لتقاليد بيته وسائر العائلات العلمية والبلدية موليا وجهه شطر حياة اهل المخزن الذين قربه منهم وظيفه واتصاله بالبيت الحسيني بواسطة اخته التي كانت زوجة الامير محمد الامين ابن مصطفى باشا التي كان له من الاختصاص بها ما يقرب من التبني مع ما له من سابق الخؤولة في بيت الوزير حمود خوجه كاهية حلق الوادي الذي كان من اوجه بيوت السيادة المخزنية واعرقها في التمدن والبذاخة والى جانب ذلك كله فقد اشتهر الشيخ محمد البشير ابن الخوجه من بين كتاب عصره بما له من الضلاعة في التاريخ التونسي والميل الى البحث عن دقائق تاريخ الدولة الحسينية والحرص على تقييد كل حادث هام يمر على مطالعته او سماعه او مشاهدته فكان في ذلك ثالث اثنين من الكتاب المؤرخين في ذلك العصر هما الشيخ محمد الباجي المسعودي والشيخ احمد ابن ابي الضياف على ان تاخره عنهما سنا جعل لتقييداته وتحريراته التاريخية قيمة مفردة يكمل بها ما تركه الشيخان فله من الاثر العظيم في تسجيل التاريخ التونسي القريب

ومجموع هذا يوضح ان البيئة التي نشأ فيها مترجمنا كانت اصلح تربة لنمو بذرة الثقافة العربية والمقدرة الادارية ومحبة البحث العلمي والولوع بالتاريخ التونسي والاقتداء بسيرة اعيان الماضين والتعلق بمناهج المصلحين والتخلق بروح الترفع وذوق الحياة العالية والمحافظة على التقاليد تلك المعاني التي كانت تتمثل لكل من عرف من بعيد او من قريب فقيدنا العزيز محمد ابن الخوجه

فقد بدات استعداداته تظهر منذ سنة ١٢٩٣ لما بلغ السابعة من عمره وبعد ان زاول التعليم القرآني فانخرط في سلك تلامذة المدرسة الصادقية في الرعيل الثاني من طلابها الذين قرت بهم عين مؤسسها العظيم وسرعان ما ظهر منه النبوغ والجد في الطلب ووفرة التحصيل وتميز

من بين اقرانه بالميل الى العربية والتطلع الى منازل الرجال الذين تبعد به عنهم سنه وتقرب به منهم مداركه ولم يزل طالبا في المدرسة الصادقية باقسامها الابتدائية لما انتصبت الحماية الفرنسوية فكان في من نقل من المدرسة الصادقية الى المدرسة العلوية التي انشئت عام ١٣٠٠ لانشاء معلمين يقومون بتعليم مبادىء اللغة الفرنسوية في المدارس التي ستحدث لابناء المسلمين على البرنامج الذي وضعه مؤسس التعليم الفرنسوي العربي المزدوج الاستاذ المستشرق لويز ماشويل اول مدير للمعارف في عصر الحماية ولكن الشغف بالادارة لم يزل يتحرك في نفس الشاب محمد ابن الخوجه وقد راى الحركة التي ادخلت كبار رفاقه من ابناء المدرسة الصادقية في منطقة الادارة على شبابهم وادرك ما علق على ثقافتهم الحديثة من الامل في هذا الطور الحديث الذي تقطعه البلاد

وقد ابتدا حياته الادارية سنة ١٣٠٤ بصفة مترجم بالكتابة العامة وكلف من ابتداء امره بخدمة المحاسبات الادارية تحت رئاسة زعيم الشباب الصادقي وصديق صاحب الترجمة الاستاذ المنعم البشير صفر فكانا نواة قسم المحاسبات الذي اصبح قسما عظيما بعد ان بقي مدة لا يتركب الا منهما مندمجا في قسم الترجمة وكان الاعتناء بحوطه من طرف رئيسه المباشر الذي هو صديقه من قديم ومن طرف رئيسيه الاعليين الوزير الاكبر العلامة الشيخ محمد العزيز بوعتور لمكان صلته بالبيت الخوجي وصداقته للشيخ محمد البشير ابن الخوجه والكاتب العام للحكومة التونسية الوزير رنيو لمكان صلته الادارية بوالده ايضا ولمنزلة عمه شيخ الاسلام في نظر حكومة الحماية وكانت سيرته الادارية المثلى واستعداداته الذاتية الفائقة تؤكد له استحقاق هذه العناية وتزيد في التفات الانظار نحوه فكان الوزير العزيز قدس الله روحه يبسط له من مجلسه وحديثه ما لا يبسط لغيره من اقرانه وذلك ما كان له اهم الآثار في حياته الفكرية والادارية والعلمية فكان كثير اللهج بمحاسن هذا الوزير والتمثل باعماله وكلامه شديد التمسك بافكاره عظيم الاكبار لمعارفه وسياسته وكانت نسبته العائلية تسمح له من الاتصال بعظماء الدولة بما لم يتات لمن هم اكبر منه سنا واعلى منزلة فقد عرف السفير الشهير بولس كمبون وتحدث معه مرات في الزيارات التي كانت متبادلة بينه وبين عمه شيخ الاسلام والتي كان هو فيها واسطة الترجمة وبذلك عرف في صغره من غوامض احوال السياسة التونسية مالم يعرفه الا القليلون

وقد بدا نجم تفوقه الاداري منذ سنة ١٣٠٩ لما نقل رئيسه البشير صفر الى جمعية الاوقاف فخلفه هو في رياسة قسم الحساب وصادف ان اصبح على راس الكتابة العامة رجل من شانه ان يقدر مواهب هذا المتوظف اكثر من غيره وهو المستشرق المؤرخ البحاثة الوزير برنار روا الذي قربته من المترجم ثقافته التاريخية واشتراكه معه في الخدمات والمباحث التي سنتعرض لها من بعد حتى اصبح له صديقا حميما ونال عنده من التقريب والحظوة ما جعل منه طيلة خمسة عشر عاما عمدة الادارة التونسية والطريق الوحيد بين المصالح الاهلية والكتابة العامة علاوة على ماكان يشغله بالاصالة من اعمال قسم الحساب

الذي جعل منه مدرسة مقصودة لمبتدئي الموظفين للتخرج في اعمال الحساب الاداري وفي اثناء هذا الطور اسندت الى عهدته نظارة المطبعة الرسمية فكانت له ميدانا فسيحا للانتاج الادبي الذي سنتفرغ للحديث عنه فيما ياتي علاوة على ما اسدى للدولة من الخدمات بالنشرات الرسمية التي كانت بعيدة الاثر في الحياة السياسية في ذلك العصر

وبمجموع هذه الصفات اصبح من النادر جدا ان تدخل مسالة من المسائل معابر الادارة العامة وليس للمترجم عليها وقوف وليس له في تسييرها اثر وعلى هذا قضى الطور الاهم من حياته الادارية

وعلى هذه المكانة وجده الوزير بلان لما اسندت اليه الكتابة العامة للامور الادارية عند خروج الوزير روا منها الى الكتابة العامة للامور العدلية فاعتمد عليه اعتماد سابقه او يزيد ورشحه لوسام الشرف الفرنسوي عند زيارة رئيس الجمهورية فليار سنة ١٣٢٩

وقد امل الوزير بلان ان يكون تبدل الظروف سامحا بنقل هذا الذكي من ميدان الادارة الى ميدان السياسة وتوجيهه الى الاندماج في المحافل العليا بتبوء منصب يسمح له بربط الصلات بين القصر الملكي والسفارة الفرنسوية العامة بتونس على اثر رغبة المقيم الجديد الوزير الابتيت في تاكيد صلة القصر بالسفارة مباشرة على خلاف النحو الذي كانت عليه في عهد الكاتب العام روا من جريان جميع العلائق على طريق الوزارة الكبرى والكتابة العامة وكان اقرب المناصب الى تحقيق هذا الغرض هو منصب مدير التشريفات الذي يرجع اليه القيام على تهيئة المقابلات الملكية السفيرية وتقع عليه عهدة الترجمة في تلك المقابلات الهامة ويتولى تنظيم جميع الاقبالات من طرف الحضرة العلية لغير رعاياها ويترجم على لسانها الخطب المهيأة والتصريحات الشفهية

وصادفت هذه الرغبة من الكاتب العام ارتياحا من الامير المقدس سيدنا محمد الناصر لما سبق له من مودة المترجم منذ شبابه بجبل المنار وما تكون له عنده من المنزلة بتاليف الرحلة الناصرية وزاد في تمهيد الطريق لدخوله للقصر تقدم طائفة من كبار اقرانه في الصادقية الى المناصب الكبرى في المعية الملكية وكانوا ايضا من اصدقاء الكاتب العام واعضاده مثل المولى الوزير الاكبر الشرفي سيدي محمد الطيب الجلولي وكان يومئذ وزير القلم والوزير الاكبر المنعم سيدي مصطفى دنقزلي وهو صهر مترجمنا وكان يومئذ شيخ المدينة وقد تهيأ سبب انجاز هذه الولاية رسميا بقرب شاغل المنصب يومئذ امير الامراء جبرائيل بلنسي من سن التقاعد فاحيل على التقاعد فعلا وسمي عوضه مترجمنا مديرا للتشريفات السنية في شهر رمضان سنة ١٣٣٢

ومن هنا لك ابتدا الدور السياسي في حياته وباسم اقمة وجاهته الرسمية وازدادت منزلته ظهور نقلبه امير لواء سنة ١٣٣٣ ثم امير امراء وقد اعتز بذلك اعتزازا عظيما والتزم الطريقة الافرنجية في تسمية نفسه بعنوان رتبته العسكرية بمرادفها الفرنسي مظموما الى لقبه بدون اسم (الجنرال ابن الخوجه) فكان اول مسلم تونسي سلك هذه الطريقة وكتبها في اوراق زيارته واشتهر بها

وقد باشر هذه المامورية الدقيقة مامورية مدير التشريفات في حقبة تضاعفت فيها اهمية ذلك المركز باشتعال نار الحرب الكبرى وما نشأ عنها من مشاكل في السياسة الداخلية والخارجية كان المترجم مندمجا فيها وخائضا غمارها وكانت كلمته في القصر الملكي نافذة الى اقصى حد ومنزلته في السفارة الفرنسوية مكينة راسخة وفي خلال هذه المدة تقلد الشريط الاكبر من نيشان الافتخار وتقلد اوسمة رفيعة من اوسمة المستعمرات الفرنسية والدول الاجنبية وقد تم على يده في هذه الفترة من حياته أمر عظيم الاهمية في التاريخ الثقافي والسياسي للاسلام هو تجديد الصلات بين تونس والمغرب الاقصى

فقد سافر في صائفة سنة ١٣٣٤ سفيرا عن حضرة المقدس سيدنا محمد الناصر باي تونس الى جلالة المقدس مولاي يوسف سلطان المغرب لعقد اواصر المودة بين الملكين الجليلين وتمتين الصلات بين القطرين

فكانت سفارة ناجحة ولقي في اثنائها من الاقبال وتقدير قيمته بين عموم الطبقات العلمية والمخزنية ما نفخ في بوق سمعته الى آخر حياته

وانعقدت بتلك الرحلة علاقة محكمة العرى بينه وبين الماريشال ليوتي وكان مقيما عاما وقائدا ساميا للجنود الفرنسية بالمغرب وفي هذه الرحلة قلد الصنف الاول من الوسام العلوي الشريف وترقى عند رجوعه الى الصنف الثالث من وسام الشرف الفرنسي

وكان محاطا في هذه الرحلة بضروب من الاحترام والعناية الرسمية والفخامة بتونس وبالجزائر وبالمغرب كانت ذكرياتها من الذ ما حفظت أحاديثه عن حياته الرسمية وقد شهدت وأنا صغير موكب استقباله عند الرجوع من المغرب بقصر المرسى فكان موكبا بهيجا رائعا قل أن شهد هذا العصر مثله

وفي أثناء هذه الرحلة انعقدت صلات المودة بينه وبين صديقه الوزير السيد الحاج عبد القادر ابن غبريط وهو يومئذ زميله في إدارة التشريفات لدى السلطنة المغربية وباتفاقهما نشأت فكرة تأسيس جمعية أحباس الحرمين الشريفين وبقي المترجم من عمدها فلم يتخلف عن اجتماع من اجتماعاتها إلى آخر اجتماع انعقد لها إلى اليوم وكان بعاصمة الجزائر سنة ١٣٦١ وقد زاد حضوره هذه الاجتماعات السنوية مع نخبة الاعيان من أبناء الاقطار الافريقية الثلاثة في انتشار سمعته وذيوع فضله

وبإثر انتهاء الحرب الكبرى اضطر الى التخلي عن وظيفة مدير التشريفات ففارقها في جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ وسمي عاملا على قابس (بانضمام جربة) فدخل طورا جديدا في حياته ثقل عليه في اول الامر جدا حتى هم بعدم قبول تسميته ولكن ذلك لم يمنع انه وجد متعة في حياة الآفاق . اتسع فكره الدقيق وذوقه الرقيق لاحتضان نظام خدمة العمال فشملها باسلوبه الاداري العالي ووسع جهاز ادارات الاعمال على منوال الادارات المنظمة بالحاضرة واظهر من ضخامة الرئاسة بين الحاضر والبادي ما زاد في رفع قدر الذاتية التونسية

ومن قابس انتقل الى الكاف سنة ١٣٣٩ ثم الى بنزرت سنة ١٣٤٣ وقد زاد اعتباره وضوحا مدة اقامته في بنزرت بتكرر المناسبات التي لم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها من الاقبالات العظيمة وزيارات الاساطيل واقتبالات الملوك العظماء ناهيك بزيارة المولى المقدس محمد الحبيب باشا مدينة بنزرت ليبحر منها الى فرنسا في رحلته الثانية اليها سنة ٤٥ وزيارة رئيس الجمهورية قسطون دوميرق سنة ٤٩ وزيارة ملك اسبانيا الفنش الثالث عشر سنة ٤٧ التي انقلب منها معجبا بمترجمنا اعجابا زائدا ثم رحلة المولى المقدس احمد باشا الثاني الى فرنسا سنة ٤٩ التي قلد فيها الصنف الثاني من وسام الشرف الفرنسوي وقد كانت هذه المناسبات وغيرها مما يقرب منها مناسبات لمعرفة ما للمترجم من المكانة السامية بسعة معارفه وطرافة حديثه وذوقه العالي في نظام التشريفات ومقدرته في اظهار بذخة المجد ووجاهة الرئاسة

وقد بقي كامل مدة مباشرته للاعمال على اتصال بالقصر الملكي بصفته حاملا لاعلى رتبة في الحاشية فلم يزل دائبا على حضور المواكب الملكية كما بقي على تمام الاتصال بالادارة المركزية العليا فلم يزل يستشار في المهمات ويدعى للمشاركة في اللجان كما سمي مندوبا في الوفد التونسي الذي سافر الى باريز للمشاركة في لجنة الاصلاحات التونسية التي عقدها الوزير ايدوار هيريو سنة ٤٣ وعضوا في الوفد الرسمي الذي مثل الحكومة التونسية في حفلة افتتاح جامع باريز سنة ٤٥ فلذلك لما اقتضى قانون احالة العمال على التقاعد خروجه من سلك العمال سنة ١٣٥٣ اعترفت الدولة ماله من القيمة الفائقة التي لم تشارك فيها فصرحت بالحاجة اليه في الاستشارات الدولية كما ورد ذلك في البلاغ الرسمي الذي اعلن فيه باحالته على التقاعد وسمي لذلك (مستشار الدولة التونسية) وبقي على ذلك عظيم المنزلة مشاركا في مختلف اللجان الدولية مرجوعا الى رايه ومعرفته في العويصات

(في العدد الآتي حياته الادبية)

محمد الفاضل

زيتوني على راس ادارة الاوقاف

سمي الاداري الشهير الشيخ محمد الطيب ابن الخيرية رئيسا لمجلس ادارة الاوقاف وليس مرادنا من تسجيل هذا الامر الاداري ان نخبر به القراء بعد ان علموه من الصحف اليومية ولا ان نهني حضرة الرئيس فمثله ممن تهنى به المناصب ولكنا نريد منه تسجيل امر له اهميته الكبرى في تذكير الناشئة الزيتونية لبعض واجباتها نحو الوطن

ذلك ان هذا السيد من اشهر رجال الادارة التونسية الذين سلمت لهم القدرة والكفاءة من الجميع وهو زيتوني خالص تخرج من جامع الزيتونة واحرز على شهادة التطويع واقرا بالجامع مدة ثم انصرف الى وجهة لا ينبغي ان تفارق نظر الزيتوني وهي الوجهة الادارية فتقلب في مناصب الادارة متدرجا عن استحقاق حتى بلغ مقام عامل من الرتبة الاستثنائية وانتصب باشهر اعمال المملكة التونسية ثم سمي متفقدا عاما للعمال ثم دعي اليوم الى منصب رئاسة الاوقاف الذي لا يعهد به الا لرجال الصف الاول من الموظفين الاداريين

وبذلك خدم الشيخ الطيب ابن الخيرية المعهد الذي انجبه خدمة عظيمة بان اقام البرهان الحسي للعموم على ان الجامع هو المعهد القائم بامداد البلاد بجهازها الاداري الصالح وان تفوق هذا الزيتوني على اقرانه دليل قاطع على فساد ما يذهب فيه الزيتونيون غالبا من مسالك اليأس من المستقبل الاداري فان حسن المستقبل الاداري منوط باظهار الكفاءة والاستقامة خصوصا وان بالادارة التونسية نواحي لا يستطيع غير الزيتوني ان يقوم بها ولكن تلك النواحي خفت على الكثير اما اليوم وقد لفت نظر الناس جميعا هذا المنصب الممتاز الواضح الذي زانه الزيتوني عهدا طويلا فانا نرجو ان يجد الطلبة الزيتونيون من هذا درسا خلاصته (ان اهم مناصب الدولة التونسية طوع ايديكم اذا دفعتم عن انفسكم ستور الياس والخمول واظهرتم من الكفاءة والاستقامة ما هو جدير بمقام معهدكم)